المبادئ العامة لمكانة المرأة في الإسلام

بقلم الدكتور : حسين بن عبد العزيز آل الشيخ
إمام وخطيب ومدرس بالمسجد النبوي ،
والقاضي بالمحكمة الشرعية
بالمدينة النبوية
١٤٢٧ هـ

g s

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد إلا آله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله اللهم صلى وسلم عليه وعلى آله وصحبه ، أما بعد :

فهذا البحث عرض مجمل عن مكانة المرأة في الإسلام يتضمن تأصيلاً مجملاً دون استغراق في التفصيل ولا تعرض للجزيئات وهو عبارة عن محاضرة ألقيتها في بريطانيا رأيت نشره بغية تعميم الفائدة راجياً أن يكون للعباد نافعاً وللداعين لتغريب المرأة رادعاً والله أسأل أن يحفظ نساء المسلمين من شرور الفتن ومضلاتها وأن يهدينا الصراط المستقيم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

تمهيد

لم تعرف البشرية ديناً ولا حضارة عنيت بالمرأة أجمل عناية وأتم رعاية وأكمل اهتمام كتعاليم الإسلام ... تحدثت عن المرأة وأكدت على مكانتها وعظيم منزلتها جعلتها مرفوعة الرأس موفورة الكرامة عالية المكانة مرموقة القدر . لها في شريعة الإسلام الاعتبار الأسمى والمقام الأعلى تتمتع بشخصية محترمة ذات حقوق مقررة وواجبات معتبرة .

ونحن بهذه الديباجة الموجزة والمتضمنة لمعان إجمالية مقررة تقريراً قطعياً في شريعة الإسلام فإن هذه المعان تظهر في صور لا تحصى وجزيئات لا تستقصى ، وبعداً عن الاستغراق الجزئي سنتعرض لتكريم الإسلام للمرأة وفق ضوء مبادئ عامة وصور جامعة تبرز لنا مدى أخذ تشريعات الإسلام بكل ما يكفل رفع منزلة المرأة وإعلاء

قدرها وإعزاز مكانتها في كل مجال من المجالات وشأن من شئون هذه الحياة ويمكن عرض تلك المبادئ والمعالم وفق قاعدة عامة وأصل جامع هو (مبدأ تقرير الإسلام لإنسانية المرأة) : -

فالإسلام ينظر إلى الخليقة البشرية على أنها وحدة إنسانية متكاملة في التكوين الجسدي والطباع والمشاعر والإحساسات والتطلعات والآلام والآمال والحاجات والضرورات فهو لا ينظر إلى نزعة عنصرية ولا فوارق لونية ولا سلالات بشرية أو فوارق جنسية أو نزعات عرقية وطائفية وحينئذ هذه الوحدة تقتضي تقرير مبادئ المساواة والحرية والإخاء والعدالة في كل شيء ، و مبدأ المساواة من المبادئ التي دعا إليها الإسلام ضمن مختلف الأحكام الشرعية المتعلقة بشئون الناس وتصريف أمورهم وهو دعامة أساسية ومحور ارتكاز بالنسبة لكل ما سنه للناس من عقائد ونظم وتشريع من النواحي السياسية والمدنية والدينية والاجتماعية قال **e** : " ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين أو تقوى (١) " ، ويروى أنه **r** قال : " الناس متساوون كأسنان المشط ليس لأحد على أحد فضل إلا بتقوى الله (٢) " فالبشرية متساوون في الإسلام وليس ثمة ما

- (1) أخرجه أحمد من حديث عقبة بن عامر الجهني **t** بلفظ : قال : قال رسول الله **r** : (إن أنسابكم هذه ليست بمسبة على أحد كلكم بنو آدم طف الصاع لم تملوه ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين أو تقوى وكفى بالرجل أن يكون بذيلاً بخيلاً فاحشاً) . المسند رقم (١٧٤٨٢) ٤ / ١٥٨ ، والطحاوي في شرح مشكل الآثار رقم (٣٤٥٩) ٩ / ٨١ - ٨٢ ، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ١٠ / ٤٦٤ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٤١٩) ، وفي مشكاة المصابيح رقم (٤٩١٠) ، وفي السلسلة الصحيحة رقم (١٠٣٨) ٣ / ٣٢ ، وفي صحيح الترغيب والترهيب رقم (٢٩٦٢) .
- (2) أخرجه الرازي في علل الحديث رقم (١٨٢٩) ٢ / ١١١ من حديث أنس بن مالك **t** بلفظ قال : سمعت رسول الله **r** يقول : الناس مستوون كأسنان المشط ليس لأحد على أحد فضل إلا بتقوى الله قال أبي : هذا حديث منكر وأبو سعد مجهول ، وذكره الديلمي في مسند الفردوس رقم (٦٨٨٣) ٤ / ٣٠١ ، والعجلوني في كشف الخفاء رقم (٢٨٤٧) ٢ / ٤٣٣ ، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٥ /
- ==

يبرر أن يدعي بعضهم السمو على بعض بالجنس أو الأصل وإن اختلفوا أجناساً وألواناً أو تفرقوا مكاناً أو زماناً فالقياس في التفاضل واحد هو التقوى فقط لأي جنس كان ومن هنا نظر الإسلام للمرأة وفق أساس هذا المبدأ العام من قاعدتين :

==

٤٧٧ - ٤٧٨ ، ١٠ / ٣٦٣ من حديث سهل بن سعد بلفظ قال : قال رسول الله ﷺ : الناس كأسنان المشط وإنما يتفاضلون بالعافية ولا خير في صحبة من لا يرى لك من الحق مثل الذي ترى له . وابن حبان في المجروحين رقم (١٥٢) ١ / ١٩٨ ، وأبو الشيخ الأصبهاني في أحاديث أبي الزبير رقم (٢٣) ص ٦٤ ، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ٢ / ٢٤٦ ، وأخرجه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال من حديث أنس بن مالك ٣ / ٢٤٨ ، وابن الجوزي في الموضوعات ٢ / ٢٧٣ ، والذهبي في ميزان الاعتدال في نقد الرجال في ترجمة سليمان بن عمرو أبو داود النخعي الكذاب وقال : قال أحمد بن حنبل : تقدمت إليه فقال : حدثنا يزيد عن مكحول وحدثنا يزيد بن أبي حبيب فقلت أين لقيته فقال : يا أحمق لم أقله حتى أعددت له جواباً لقيته بباب الأبواب ، قال أبو طالب عن أحمد بن حنبل : كان يضع الحديث ، وقال أحمد بن أبي مريم عن يحيى معروف بوضع الحديث ، وقال عباس عن يحيى : قال : سمعت أبا داود النخعي يقول : سمعت خصيفاً وخصافاً مخصفاً قال يحيى : كان أكذب الناس ، وقال البخاري : متروك رماه قتيبة وإسحاق بالكذب ، وقال يزيد بن هارون : لا يجل لأحد أن يروي عنه . ميزان الاعتدال في نقد الرجال رقم (٣٩٥٤) ٣ / ٣٠٥ ، وابن حجر في لسان الميزان في ترجمة سليمان بن عمرو أبو داود النخعي الكذاب رقم (٣٣٢) ٣ / ٩٧ - ٩٨ ، وذكره الذهبي في تلخيص كتاب الموضوعات رقم (٧٤٤) ص ٢٧٧ ، والخطيب البغدادي عن الحسن مرفوعاً في تاريخ بغداد ٧ / ٥٧ ، وابن عراق في تزيه الشريعة من حديث أنس رقم (٤٣) ٢ / ٢٩٤ - ٢٩٥ ، وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة رقم (٢٧) ص ٢٢٧ ورقم (١٣٧) ص ٢٥٩ وقال : قال السخاوي : موضوع ، والدبلمي في الفردوس بمأثور الخطاب من حديث سهل بن سعد رقم (٦٨٨٢) ٤ / ٣٠٠ ، وذكره محمد بن طاهر المقدسي في ذخيرة الحفاظ رقم (٥٩٠٣) ٥ / ٢٥٣٨ - ٢٥٣٩ ، وذكره طاهر الجزائري الدمشقي في توجيه النظر إلى أصول الأثر رقم (٥٨) ٢ / ٦٤٩ وقال : إنه منكر ، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة رقم (٥٩٦) ٢ / ٦٠ ، ورقم (٣١٥٨) وقال : ضعيف جداً .

الأولى : تحديد العلاقة بين الرجل والمرأة في نظام الإسلام على أساس المساواة الكاملة في التكوين ووحدة الخلق والإيجاد والأصل والمنشأ ، وهذا ما يقرره قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (١) ، وهو ما يدل عليه قوله **٢** : " إنما النساء شقائق الرجال (٢) " .

الثانية : الأخوة المقررة بين الرجل والمرأة ، ذلكم أن المرأة تنتسب هي والرجل إلى أصل واحد كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (٣) ، وكما قال جلا وعلا: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) (٤) ، فهذان النصان يوضحان تقرير نسبة الزوجة وهي حواء أم البشر إلى نفس المصدر الذي نسب إليه بنوها جميعاً فالجميع داخلون في التقويم الإنساني المستمد

(1) سورة النساء : (آية ١) .

(2) أخرجه أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها في كتاب الطهارة ، باب في الرجل يجد البلة في منامه رقم (٢٣٦) ١ / ٦١ ، والترمذي في كتاب الطهارة ، باب ما جاء فيمن يستيقظ فيرى بللا ولا يذكر احتلاما رقم (١١٣) ١ / ١٨٩ - ١٩٠ ، وابن الجارود رقم (٩٠) ص ٣٣ ، وأحمد رقم (٢٧١٦٢) ٦ / ٣٧٧ ، ورقم (٢٦٢٣٨) ٦ / ٢٥٦ ، والدارمي رقم (٧٦٤) ١ / ٢١٥ ، والدارقطني رقم (٢) ١ / ١٣٣ ، وأبو عوانة في مسنده رقم (٨٣٢) ١ / ٢٤٤ ، وأبو يعلى رقم (٤٦٩٤) ٨ / ١٤٩ ، والطوسي في مختصر الأحكام رقم (٩٦) ١ / ٣٢٤ - ٣٢٥ ، والبيهقي في الكبرى رقم (٧٦٧) ١ / ١٦٨ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١ / ٢٦٨ ، ٧ / ١٦٥ ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم (٢٣٦) ١ / ٦١ ، وفي صحيح سنن الترمذي رقم (١١٣) ١ / ١٨٩ - ١٩٠ ، وفي السلسلة الصحيحة رقم (٢٨٦٣) ٦ / ٨٦٠ ، وفي صحيح الجامع رقم (٢٣٣٣) ، ورقم (١٩٨٣)

(3) سورة الحجرات : (آية ١٣) .

(4) سورة الأعراف : من (الآية ١٨٩)

من خصائص نفس واحدة وحينئذ فهذه الأخوة توجد رابطة بين الرجال والنساء ليسعد كل بالآخر ويشد يده بيده ليتعاون الجميع في التغلب على مشكلات الحياة المتنوعة المستمرة ويتعاونوا لدفع دفعة هذه الحياة لكل خير وصلاح وسعادة لجميع بني البشر . وفيما تقدم كله يعلن رسول الإسلام عليه أفضل الصلاة والسلام دستوراً خالداً لكل البشرية فيقول : " يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي و لا لعجمي على عربي و لا لأحمر على أسود و لا لأسود على أحمر إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم (١) " . وهذه الأخوة البشرية تتأكد ثمراتها وتظهر فوائدها حينما يأتي أساسها في دين الإسلام في إطار أخوة الدين فالمرأة المسلمة في نظر الإسلام أخت للرجل المسلم ، قال تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) (٢) . وقال سبحانه : (فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (٣) ، تلك الأخوة التي تقتضي التناصر والتعاقد والتآلف والتحابب بلا فرق بين رجل وامرأة ، قال تعالى : (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) (٤) .

(١) أخرجه أحمد من حديث أبي نضرة عن سمع خطبة النبي ﷺ رقم (٢٣٥٣٦) ٥ / ٤١١ ، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣ / ١٠٠ من حديث جابر بن عبد الله ، وأحمد المديني في جزء فيه قول النبي ﷺ رقم (١٦) ص ٣٢ ، وابن المبارك في مسنده رقم (٢٣٩) ص ١٤٦ - ١٤٧ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨ / ٨٤ ، ٣ / ٢٦٦ وقال رواه أحمد والبخاري ورجاهما رجال الصحيح ، وابن حجر في فتح الباري ٦ / ٥٢٧ ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم (٢٩٦٣) ، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٢٧٠٠) ٦ / ٤٤٩ ، وفي غاية المرام رقم (٣١٣) .

(٢) سورة الحجرات : من (الآية ١٠) .

(٣) سورة التوبة من (الآية ١١) .

(٤) سورة التوبة : من (الآية ٧١) .

وقال e في الحديث الصحيح : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (1) " .

إذا تقرر ذلكم الأصل العام وما تفرع عنه من قاعدتين فرعيتين فإننا نسوق الملامح الجزئية والصور الفردية التي هي عبارة عن ضوابط متفرعة من تلك القاعدة العامة والأصل الجامع ومرتبطة به ارتباطاً منطقياً فنعرض ذلك فيما يلي:

الضابط الأول : مساواة المرأة بالرجل في المطالبة بالتكاليف الشرعية وفيما يترتب عليها من ثواب وعقاب وهذا ما يسمى (بمبدأ وحدة التكليف) فالتساوي في التكاليف الشرعية والواجبات المفروضة والجزاءات المقررة ثواباً وعقاباً هو الظاهرة العامة في الخطابات التشريعية في القرآن والسنة معاً فقد قررا مبدأ تكليف الذكر والأنثى على السواء تكليفاً متساوياً لكل ما يتصل بشئون الدين والدنيا ولمبدأ ترتيب نتائج سعى كل منهما وفقاً للفعل الذي يصدر عنه قال تعالى : (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَىٰ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنِيسِرُّهُ لِيُسرَىٰ

(1) أخرجه البخاري من حيث أنس بن مالك t في كتاب الإيمان ، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه رقم (١٣) ١ / ٢١ ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه رقم (٤٥) ١ / ٦٧ - ٦٨ ، وأحمد ٣ / ١٧٦ ، ٢٧٢ ، ٢٧٨ ، والنسائي في الصغرى في كتاب الإيمان وشرائعه ، باب علامة الإيمان رقم (٥٠١٦ - ٥٠١٧) ٨ / ١١٥ ، وفي باب علامة المؤمن رقم (٥٠٣٩) ٨ / ١٢٥ ، وفي السنن الكبرى رقم (١١٧٤٧ - ١١٧٤٨) ٦ / ٥٣٤ ، ورقم (١١٧٧٠) ٦ / ٥٣٨ ، والترمذي في كتاب صفة القيامة والرفائق ، باب ٥٩ رقم (٢٥١٥) ٤ / ٦٦٧ ، وابن ماجه في المقدمة ، باب في الإيمان رقم (٦٦) ١ / ٢٦ ، والدارمي رقم (٢٧٤٠) ٢ / ٣٩٧ ، وابن حبان رقم (٢٣٤) ١ / ٤٧٠ ، وعبد بن حميد رقم (١١٧٤) ١ / ٣٥٤ ، وأبو نعيم في المسند المستخرج على صحيح مسلم رقم (١٦٦) ١ / ١٣٣ ، وأبو يعلى رقم (٢٩٥٠) ٥ / ٣٢٧ ، ورقم (٣١٥١) ٥ / ٤٤٤ ، ورقم (٣١٨٢ - ٣١٨٣) ٥ / ٤٥٨ - ٤٥٩ ، ورقم (٣٢٥٧) ٦ / ٢٣ ، والطبراني في الأوسط رقم (٨٢٩٢) ٨ / ١٦٧ .

وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَعْتَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١) ، وقال سبحانه :
(وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ
وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا) (٢) ، وقال عز شأنه : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ
مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (٣) .

ولنتمعن في هذا الإعلان العظيم من الرب الكريم المتضمن المساوات بين الرجال
والنساء طلباً وجزاءً تكليفاً وثواباً : (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ
وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ
فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا
عَظِيمًا) (٤) . وفي مجال العقوبات الدنيوية يساوي الإسلام أيضا بين الرجل والمرأة
على حد سواء ففي حد السرقة يقول تعالى : (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا
جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (٥) ، وفي حد الزنا يقول تعالى :
(الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ) (٦) .

(أ) - ولهذا كله فقد قرر الإسلام تقريراً عاماً لمركز المرأة فيه ومساواتها مع الرجل
في مجال الشؤون العامة والخاصة إلا ما دعت الضرورة البشرية والطبيعية الجبلية
التفريق فيه ، قال تعالى : (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ

(1) سورة الليل : آيات من (٣ - ١٠) .

(2) سورة النساء : آية (١٢٤) .

(3) سورة النحل : آية (٩٧) .

(4) سورة الأحزاب : آية (٣٥) .

(5) سورة المائدة : آية (٣٨) .

(6) سورة النور : آية (٢) .

أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (١) ، فالإنسان يشمل الذكر والأنثى وهما متساويان في حمل الأمانة التي فسرهما جمهور المفسرين بالتكليف الشرعية . ويعلن الإسلام مبدأ التكريم للإنسان من حيث هو ذكراً أم أنثى فيقول الله جل وعلا : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (٢) .

قال القرطبي : (والصحيح الذي يكون عليه التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف وبه يعرف الله ويفهم كلامه ويوصل إلى نعيمه وتصديق رسله) (٣) ، وانطلاقاً من هذا الأصل اتفق جمهور العلماء والمفسرين على أن كل ما جاء في القرآن والسنة من خطاب موجه إلى المؤمنين والمسلمين في مختلف الشؤون بصيغة المفرد المذكور والجمع المذكور مما يتصل بالتكليف والحقوق والأعمال العامة يعتبر شاملاً للمرأة دون أي تفریق وتمييز إذا لم يكن فيه قرينة تخصيصية ومن ذلك التكليف التعبدية والمالية والبدنية والحقوق والمباحات والمحظورات والتبعات والآداب والأخلاق (نعم رفع الإسلام الإلزام ببعض التكليف عن المرأة لا لأنها غير مساوية للرجل في أسباب التكليف ولكن من باب رفع العنت عنها نظراً لطبيعة جنسها وما اقتضته من عدم البروز وتخفيفاً عنها ورخصة لها وإبعاداً لها عن مهاوي الرذيلة ومزاحمة الرجال وتفریباً لها في القيام برسالتها العظيمة من إدارة البيت ورعاية الأجيال ويأتي هذا التخفيف في مثل إسقاط الجمعة والجماعة والجهاد وتخفيف الأعباء المالية عنها كالمهر والنفقة وهكذا بعض الحالات الأخرى التي جعلت الشريعة الإسلامية المرأة فيها غير

(1) سورة الأحزاب : آية (٧٢) .

(2) سورة الإسراء : آية (٧٠) .

(3) تفسير القرطبي ١٠ / ٢٩٤ .

مساوية للرجل من منطلق مراعاة خصائصها بسبب طبيعتها وفطرتها وإمكاناتها الواقعية وغلبة العاطفة عليها لا طعناً بعقلها وكفاءتها وإنسانيتها وكرامتها وأهليتها .

١ - ففي الشهادة جعل الإسلام شهادتها في الحقوق المالية مقابل شهادة الرجل قال تعالى : (وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى) (١) . كل هذا بسبب قلة خبرة المرأة عادة وملازمتها بيتها غالباً و خشية من نسيانها أو خطئها أو قلة ضبطها رؤية المشكلات المثارة يقول الشيخ رشيد رضا - رحمة الله - في تفسير المنار : " إن المرأة ليس من شأنها الاشتغال بالمعاملات المالية ونحوها من المعاملات فلذلك تكون ذاكرة فيها ضعيفة ولا تكون كذلك في الأمور المتزلية التي هي شغلها فإنها فيها أقوى ذاكرة من الرجل يعني أن طبع البشر ذاكراناً وإناثاً أن يقوى تذكركم للأمور التي تمهم ويكثر اشتغالهم بها ولا ينافي ذلك اشتغال بعض النساء الأجانب في هذا العصر الأعمال المالية فإنه قليل لا يعول عليه " (٢) . وفي الجنايات أعفاها الإسلام من الشهادة فيها لأنها لا تطبق رؤية الدماء وألوان القتل فلا يكون تحملها دقيقاً ولهذا يقبل قولها عن الرجال فيما تختص بالاطلاع عليه كالولادة وعيوب النساء الخاصة مما يدل على أن المناط في هذه الأحكام ليس الأوصاف الطردية من ذكورة وأنثوية وليس لأن الرجل أفضل من المرأة وإنما لمعان أخرى روعيت لمصالح لا تخفى على محقق .

٢ - وفي الميراث جعل لها الإسلام نصف حظ الذكر كما في قوله تعالى : (لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ) (٣) ، لأن نظام الميراث مرتبط بنظام النفقات لذا فهي لا تكلف

(١) سورة البقرة : من الآية (٢٨٢) .

(٢) تفسير المنار ٣ / ١٢٤ - ١٢٥ .

(٣) سورة النساء : من الآية (١١) .

بالإنفاق على أحد بخلاف الرجل فالإسلام جعل عبء الأسرة وإنشائها كله على الرجل وأعفى المرأة عن ذلك بل المرأة في غالب أحوالها مضمونة النفقة سواء كانت أمماً أم زوجة أم بنتاً أم أختاً بخلاف الرجل يتحمل المهر وتجهيز المنزل ونفقات الحياة ، ويصف بعض الباحثين تعليلاً آخر وهو أن الإسلام لا ينظر إلى المرأة كفرد ولكنه ينظر إليها وإلى الرجل كأسرة مكونة من فردين يكونان نواة المجتمع الكبير فهي تأخذ سهماً وزوجها يأخذ سهمين من مورثه فتكون النتيجة ثلاثة أسهم لهذه الأسرة وأخوها يأخذ سهمين من أبيها وزوجته تأخذ سهماً من مورثها فيكون المجموع ثلاثة أسهم في أسرة أخرى فهنا قضية تعادليه وبالتالي تتحقق التكاملية في المجتمع .

٣ - وأما في دية القتل الخطأ فجعلت على النصف من دية الرجل لأن الضرر الفادح الذي لحق بالأسرة بقتل الرجل أشد وأعظم وأكثر والديه إنما جعلت جبراً للضرر الحاصل على أهل الميت فهي جابرة وزاجرة مع أن بعض العلماء سوى بينهما في هذه المسألة مما يدل على أن الأمر اجتهادي وإن كان الراجح هو القول الأول .

وأما الولاية كقيادة الأمة والقضاء كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ في قوله : " لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة (١) " ، فذلك مراعاة لمصلحة الأمة لأن هذه المناصب

(1) أخرجه البخاري من حديث أبي بكرة t في كتاب المغازي ، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى رقم (٤١٦٣) / ٤ / ١٦١٠ ، وفي كتاب الفتن ، باب الفتنة التي تموج كموج البحر رقم (٦٦٨٦) / ٦ / ٢٦٠٠ ، والنسائي في السنن الكبرى رقم (٥٩٣٧) / ٣ / ٤٦٥ ، وفي السنن الصغرى في كتاب آداب القضاة ، باب النهي عن استعمال النساء في الحكم رقم (٥٣٨٨) / ٨ / ٢٢٧ ، والترمذي في كتاب الفتن ، باب ٧٥ ، رقم (٢٢٦٢) / ٤ / ٥٢٧ ، وأحمد رقم (٢٠٤١٨) / ٥ / ٣٨ ، ورقم (٢٠٤٩٢) / ٥ / ٤٧ ، ورقم (٢٠٥٣٦) / ٥ / ٥١ ، والطيالسي رقم (٨٧٨) ص ١١٨ ، وابن أبي شيبه رقم (٣٧٧٨٧) / ٧ / ٥٣٨ ، وابن حبان رقم (٤٥١٦) / ١٠ / ٣٧٥ ، والحميدي في الجمع بين الصحيحين رقم (٥٨٨) / ١ / ٣٦٧ ، والبخاري رقم (٣٦٨٥) / ٩ / ١٣٢ - ١٣٣ ، ورقم (٣٦٩٢) / ٩ / ١٣٧ ، والطبراني في الأوسط رقم (٤٨٥٥) / ٥ / ١٢٣ ، والحاكم في المستدرک رقم (٤٦٠٨) / ٣ / ١٢٨ ، ورقم (٧٧٩٠) / ٤ / ٣٢٤ ، والبيهقي في السنن الكبرى رقم (٤٩٠٧) / ٣ / ٩٠ .

فيها من الخطورة والمسئولية ما لا يتحملة إلا الرجل نظراً لطبيعته وفطرته التي فطر الله عليها في تحمل المصاعب والشدائد . يقول ابن القيم رحمه الله في كتابه أعلام الموقعين : " سوى الشارع الحكيم بين الرجل والمرأة في العبادات البدنية والحدود وجعلها على النصف منه في الدية والشهادة والميراث والعقيقة وهذا من كمال شريعته وحكمتها ولطفها فإن مصلحة العبادات البدنية ومصلحة العقوبات الرجال والنساء مشتركون فيها وحاجة أحد الصنفين إليها كحاجة الصنف الآخر فلا يليق التفريق (١) " .

الضابط الثاني : المساواة بين الرجل والمرأة في الأهلية فهي كالرجل في أهليتها الاجتماعية والمالية ونحوها ، لأن مناط تلك الأهلية العقل والتكليف فحينئذ هي كالرجل في ذلك . وسيتضح لنا ذلك في بيان وإيضاح مكانة المرأة الاجتماعية ومكانتها الاقتصادية فيما سنعرضه مفصلاً وسنورد فيما يلي مثالين هما كالقاعدة في التمثيل للنواحي التي ذكرناها آنفاً ففي مجال الناحية الاجتماعية يقرر جل وعلا قاعدة عامة في الحقوق فيقول سبحانه : (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) (٢) . قاعدة قرآنية تعني أن كل ما يحق للزوج طلبه وانتظاره من زوجته من أمور مشروعة من طاعة وأمانة ، وعفة وإخلاص ، وحسن معاشرة وطيب معاملة ، ومودة واحترام ، وثقة وتكريم ، وبر وترفيه ، ومراعاة مزاج ورعاية مصلحة ، وقضاء حاجات وعدم مشاكسة ، وعدم عنف وبداءة ، ومضارة ومضايقة ، وأذى وسوء خلق ، وتكبر وتجبر ، وازدراء وتكليف مالا يطاق فيحق للزوجة طلبه وانتظاره من زوجها) .

وأما في مجال الحقوق المالية فإن لها ذمتها المالية المستقلة عن ذمة الزوج أو بقية الأسرة فتملك ما تشاء وتتصرف في مالها بما تشاء ، قال تعالى : (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ

(1) أعلام الموقعين ٢ / ١٦٨ .

(2) سورة البقرة : (من الآية ٢٢٨) .

الْوَالِدَانَ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (١) .

وانظر إلى المنهج الإلهي كيف يعلي من شأن المرأة بينما تأتي مناهج البشر مخالفة لذلك وناظرة للمرأة على أنها جنس دون جنس الرجال فقد ورد في بعض القوانين عدم اعتبار ذمتها المالية فإن ذمة المرأة المتزوجة في القانون الفرنسي م ٢١٧ مندمجة مع الزوج فلا يجوز لها أن تتصرف بشيء من دون موافقة زوجها .

الضابط الثالث : عناية الشرع بحقوق المرأة العامة .

من يتأمل النصوص الشرعية يجد عناية عظيمة بشأن المرأة ، وحثاً بالغاً في رعاية حقوقها ، وتحذير شديداً من ظلمها والتعدي عليها ، فقد أمر الإسلام بالتعامل مع المرأة في حدود الإحسان وفق حدود عظيمة وضوابط قوية ، وحذر من ظلمها أو تعدي حدود الله في التعامل معها ، ففي سياق آيات الطلاق يقول الله عز وجل :

(تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (٢)

ويقول سبحانه : (ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ) (٣) . ونجده أيضاً يجعل الضوابط الدقيقة المتعلقة بشأن الحياة الزوجية حال الإمساك وحال التسريح ويربط ذلك كله بتقوى الله جل وعلا وبمبدأ الإحسان وعدم نسيان الفضل وبذل العفو والتمسك به في كل الأحوال ، قال تعالى :

(لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ

(1) سورة النسا : (آية ٧) .

(2) سورة البقرة : (من الآية ٢٢٩) .

(3) سورة البقرة : (من الآية ٢٣٢) .

، وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١) . وفي مقام بيان فضلها ورفع شأنها يبين الإسلام أن التسخط من الأنثى من شأن الجاهلية فيحذر من هذه الصفة التي كانت منتشرة في الجاهلية .

قال تعالى : (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) (٢) . بينما الإسلام عدها نعمة عظيمة وهبة كريمة كالذكر سواء بسواء قال تعالى : (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ لِمَنْ يَشَاءُ عَاقِبَةً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) (٣) . وقال النبي e : " من كان له أنثى فلم يندها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة (٤) " . ومن أوجه عناية الشارع بالمرأة أنه منحها الحقوق وأعطاهم حق الدفاع عنها والمطالبة برفع ما يقع عليها من حرمان أو أعنات أو إهمال أو تضيق ولنستمع لقوله تعالى عن المرأة وهي تجادل عن حقها فيما يقوله المولى جل وعلا : (قَدْ سَمِعَ

(١) سورة البقرة : (آيتا ٢٣٦ - ٢٣٧) .

(٢) سورة النحل : (آية ٥٨) .

(٣) سورة الشورى : (آيتا ٤٩ - ٥٠) .

(٤) أخرجه أحمد من حديث ابن عباس رقم (١٩٥٧) ١ / ٢٢٣ ، وأبو داود في كتاب الأدب ، باب في فضل من عال يتيما رقم (٥١٤٦) ٤ / ٣٣٧ ، وابن أبي شيبة رقم (٢٥٤٣٥) ٥ / ٢٢١ ، وابن أبي الدنيا في كتاب العيال رقم (٨٨) ١ / ٢٣٤ وقال : رجاله ثقات ، والبيهقي في شعب الإيمان رقم (٨٦٩٩) ٦ / ٤١٠ ، وابن حجر في المطالب العلية رقم (٢٥٥٤) ١١ / ٣٧٧ ، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود رقم (٥١٤٦) ٤ / ٣٣٧ ، وفي ضعيف الجامع رقم (٥٨٠٧) ص ٨٣٧ ، وفي ضعيف مشكاة المصابيح رقم (٤٩٧٩) ٣ / ١٣٨٩ .

اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١) . وقال النبي ﷺ : " إن لصاحب الحق مقالاً (٢) " .

الضابط الرابع : المرأة ومكانتها الاجتماعية في الإسلام .

المرأة في ظل تعاليم الإسلام القويمة وتوجيهاته الحكيمة تعيش حياة كريمة في مجتمعها المسلم حياة ملؤها الحفاوة والتكريم من أول يوم تقدم فيه في هذه الحياة وفي كل حال حياتها بنتاً أو أمّاً أو أختاً أو عمّة أو خالّة أو زوجة أو حتى أجنبية صغيرة أو كبيرة . وسنعرض الخطوط لهذه المكانة التي حظيت بها المرأة في الإسلام فيما يأتي :

(أ) - رعى الإسلام حقها وهي : طفلة وحت على الإحسان إليها وجعل جزاء ذلك الجنة التي هي غاية مراد المؤمنين ففي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك **t** أن رسول الله ﷺ قال : " من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين وضم أصابعه (٣) " . وثبت أنه **e** قال : " من كان له ثلاثة بنات وصبر عليهن وكساهن من جدته كن له حجاباً من النار (١) " .

(1) سورة المجادلة : (آية ١) .

(2) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة **t** في كتاب الاستقراض وأداء الديون ، باب استقراض الإبل رقم (٢٢٦٠ / ٢ / ٨٤٢ ، وفي باب لصاحب الحق مقال رقم (٢٢٧١) / ٢ / ٨٤٥ ، وفي كتاب الوكالة ، باب الوكالة في قضاء الديون رقم (٢١٨٣) / ٢ / ٨٠٩ ، وفي كتاب الهبة وفضلها ، باب الهبة المقبوضة وغير المقبوضة والمقسومة وغير المقسومة رقم (٢٤٦٥) / ٢ / ٩٢٠ ، وفي باب من أهدي له هدية وعنده جلساؤه فهو أحق رقم (٢٤٦٧) / ٢ / ٩٢١ ، ومسلم في كتاب المساقات ، باب من استسلف شيئاً ففضى خيراً منه وخيركم أحسنكم قضاءً رقم (١٦٠١ / ٣ / ١٢٢٥ ، والترمذي في كتاب البيوع ، باب ما جاء في استقراض البعير أو الشيء من الحيوان أو السن رقم (١٣١٧ / ٣ / ٦٠٧ - ٦٠٨ .

(3) أخرجه مسلم من حديث أنس بن مالك **t** في كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل الإحسان إلى البنات رقم (٢٦٣١) / ٤ / ٢٠٢٧ ، والترمذي في كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في النفقة على البنات والأخوات رقم

وقال رسول الله ﷺ: " من ابتلى من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار (٢) ".

- ١٩١٤ / ٤ (٣١٩) ، وابن أبي شيبة رقم (٢٥٤٣٩) ٥ / ٢٢٢ ، والطبراني في الأوسط رقم (٥٥٧) ١ / ١٧٦ ،
والحاكم في المستدرک رقم (٧٣٥٠) ٤ / ١٩٦ .
- (1) أخرجه ابن ماجه من حديث عقبه بن عامر في كتاب الأدب ، باب بر الوالد والإحسان إلى البنات رقم (٣٦٦٩)
٢ / ١٢١٠ ، وأحمد رقم (١٧٤٣٩) ٤ / ١٥٤ ، والبخاري في الأدب المفرد رقم (٧٦) ص ٤١ ، وفي التاريخ
الكبير رقم (٣٦٢٩) ٨ / ٤٤٠ ، والطبراني في الكبير رقم (٨٢٦ - ٨٢٧) ١٧ / ٢٩٩ - ٣٠٠ ، وأبو يعلى
رقم (١٧٦٤) ٣ / ٢٩٩ ، والبيهقي في شعب الإيمان ورقم (٨٦٨٨ - ٨٦٨٩) ٦ / ٤٠٧ ، والمروزي في البر
والصلة رقم (١٧٣) ص ٩٢ ، وأحمد من حديث أبي هريرة t رقم (٨٤٠٦) ٢ / ٣٣٥ ، ومن حديث أنس t
رقم (١٢٦١٥) ٣ / ١٥٦ ، وابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة t رقم (٢٥٤٤٠) ٥ / ٢٢٢ ، والطبراني في
الكبير من حديث عوف بن مالك رقم (١٠٢) ١٨ / ٥٦ ، والبيهقي في شعب الإيمان من حديثه رقم (٨٦٧٩) ٦
/ ٤٠٥ ، ورقم (٨٦٨١) ٦ / ٤٠٦ ، والطبراني في الأوسط من حديث جابر t رقم (٤٧٦٠) ٥ / ٩٠ ، ورقم
(٥١٥٧) ٥ / ٢٢٦ ، وأبو يعلى من حديث أنس رقم (٣٤٤٨) ٦ / ١٦٦ ، ومن حديث جابر رقم (٣٠) ١
/ ٥٨ ، والبوصيري في مصباح الزجاجة رقم (٨٧٢١) ٤ / ١٠١ وقال : هذا إسناد صحيح ، وصححه الألباني في
صحيح سنن ابن ماجه رقم (٣٦٦٩) ٢ / ١٢١٠ ، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٢٩٤) ١ / ٥٩٠ ،
ورقم (١٠٢٧) ٣ / ٢٤ ، وفي صحيح الجامع رقم (٦٤٨٨) ٢ / ١١٠٦ .
- (2) أخرجه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها بلفظ قالت : " جاءني امرأة ومعها ابنتان لها فسألني فلم تجد
عندي شيئاً غير تمر واحدة فأعطيتهما إياها فأخذتها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها شيئاً ثم قامت فخرجت وابنتاها
فدخل علي النبي ﷺ فحدثته حديثها فقال النبي ﷺ : من ابتلى من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار "
صحيح البخاري في كتاب الزكاة ، باب اتقوا النار ولو بشق تمره رقم (١٣٥٢) ٢ / ٥١٤ ، وفي كتاب الأدب ،
باب رحمة الولد وتقيله ومعانفته رقم (٥٤٤٩) ٥ / ٢٢٣٤ ، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب فضل
الإحسان إلى البنات رقم (٢٦٢٩) ٤ / ٢٠٢٧ ، وأحمد في المسند رقم (٢٦١٠٢) ٦ / ٢٤٣ ، ورقم
(٢٤١٠١) ٦ / ٣٣ ، وابن حبان رقم (٢٩٣٩) ٧ / ٢٠١ ، وعبد بن حميد رقم (١٤٧٣) ١ / ٤٢٩ ،
والطيالسي رقم (١٤٤٧) ص ٢٠٤ ، والبيهقي في السنن الكبرى (١٥٥١٣) ٧ / ٤٧٨ .

(ب) - راعى حقها أما فقد دعا إلى إكرامها إكراماً خاصاً وحث على العناية بها وذلك ببذل البر لها والإحسان إليها والسعي في خدمتها والدعاء لها وعدم إيذائها بأي نوع من أنواع الأذى وألزم الولد بمعاملتها معاملة أحسن الأصحاب وأكرم الرفاق

وقال **e**: "الكبائر الإشراف بالله وعقوق الوالدين أو قال : اليمين الغموس وعقوق الوالدين أو قال : وقتل النفس (1) ".

(ج) - رعى حقها كونها زوجة جعل لها حقوقاً عظيمة على زوجها من المعاشرة بالمعروف والإحسان والرفق بها والإكرام ، قال **e** " ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان (٢) ".

(1) أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو **t** في كتاب الديات ، باب قول الله تعالى [وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَاتَمًا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا] (المائدة: من الآية ٣٢) رقم (٦٨٧٠) ٤ / ٢٦٦ ، وفي كتاب الأيمان والنذور ، باب اليمين الغموس رقم (٦٦٧٥) ٤ / ٢٦٧ ، وفي كتاب استتابة المرتدين ، والمعاندين ، باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة من حديث أبي بكر رقم (٦٩١٩) ٤ / ٢٧٨ ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان الكبائر وأكبرها رقم (٨٧) ١ / ٩١ ، وأحمد ٢ / ٢٠١ ، والنسائي في السنن الصغرى في كتاب تحريم الدم ، باب ذكر الكبائر رقم (٤٠٠٩ - ٤٠١١) ٧ / ٨٨ - ٨٩ ، وفي باب ما جاء في كتاب القصاص رقم (٤٨٦٨) ٨ / ٦٣ ، من حديث عبد الله بن عمرو ، أنس ، وأبي أيوب الأنصاري ، وفي السنن الكبرى رقم (٣٤٧٤) ٢ / ٢٨٩ ، ورقم (١١١٠٠ - ١١١٠١) ٦ / ٣٢٢ ، ورقم (٦٠٢٢) ٣ / ٤٩٢ ، والترمذي في كتاب التفسير ، باب من سورة النساء رقم (٣٠٢١) ٥ / ٢٣٦ ، والدارمي رقم (٢٣٦٠) ٢ / ٢٥١ ، وعند أحمد ٥ / ٣٨ ، من حديث أبي بكر ، وابن حبان رقم (٥٥٦٣) ١٢ / ٣٧٤ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٨ / ٢٠ ، ١٥٦ / ١٠ ، ٤٠٩ / ٣ ، وعند الحاكم ٤ / ٣٢٩ من حديث عبد الله بن أنيس الجهني .

(2) أخرجه الترمذي من حديث أبي عمرو بن الأحوص بلفظ " استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان " في كتاب الرضاع ، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها رقم (١١٦٣) ٣ / ٤٦٦ - ٤٦٧ ، ولفظ " ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك " في كتاب التفسير باب ومن سورة التوبة رقم (٣٠٨٧) ٥ / ٢٧٣ ، وابن ماجه في كتاب النكاح ، باب حق المرأة على الزوج رقم (١٨٥١) ١ / ٥٩٤ ، والنسائي في السنن الكبرى رقم (٩١٦٩) ٥ / ٣٧٢ ، وأخرجه البخاري من حديث أبي هريرة **t** بلفظ : " واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً " في كتاب النكاح ، باب الوصاة بالنساء رقم (٤٩٨٠) ٥ / ١٩٨٧ ، ومسلم في كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء رقم (١٤٦٨) ٢ / ١٠٩١ ، وابن أبي شيبة رقم (١٩٢٧٢) ٤ / ١٩٧ ، والبيهقي الكبرى رقم (١٤٤٩٩) ٧ / ٢٩٥ .

وقال **r** أيضاً: " أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم (١) " ، وقال **e**: " فاتقوا الله في النساء (٢) " .

وقال **r**: " لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر (٣) " أي: لا يبغض مؤمن مؤمنة فمن وجد فيها خلقاً لا يعجبه ولا يرضيه ففيها من الأخلاق الفاضلة الشيء الكثير .

(1) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة **t** في كتاب الرضاع ، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها رقم (١١٦٢) / ٣ / ٤٦٦ ، ابن ماجة في كتاب النكاح ، باب حسن معاشره النساء رقم (١٩٧٧ - ١٩٧٨) / ١ / ٦٣٦ ، وأحمد في المسند رقم (٧٣٩٦) / ٢ / ٢٥٠ ، ورقم (١٠١١٠) / ٢ / ٤٧٢ ، وابن حبان رقم (٤١٧٦) / ٩ / ٤٨٣ ، وأبو يعلى رقم (٥٩٢٦) / ١٠ / ٣٣٣ ، وابن أبي شيبة رقم (٢٥٣١٨) / ٥ / ٢١٠ ، وعنده من حديث عائشة رضي الله عنها بلفظ " أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله " رقم (٢٥٣١٩) ج٥/ص٢١٠ ، والهيثمي في موارد الظمان رقم (١٣١١) / ١ / ٣١٨ ، وصححه البوصيري في مصباح الزجاجة رقم (٧٠٨) / ٢ / ١١٨ ، والألباني في صحيح سنن الترمذي رقم (١١٦٢) / ٣ / ٤٦٦ ، وفي صحيح سنن ابن ماجة رقم (١٩٧٧ - ١٩٧٨) / ١ / ٦٣٦ .

(2) أخرجه مسلم من حديث جابر الطويل في صفة حج النبي **r** في كتاب الحج باب صفة الحج رقم (١٢١٦) / ٢ / ٨٨٦ - ٨٨٩ ، وأبو داود في كتاب الحج ، باب صفة حجة النبي **r** رقم (١٩٠٥) / ٢ / ١٨٢ - ١٨٥ ، وابن ماجة في كتاب المناسك ، باب حجة رسول الله **r** رقم (٣٠٧٤) / ٢ / ١٠٢٢ ، والنسائي في السنن الكبرى رقم (٤٠٠١) / ٢ / ٤٢١ ، ورقم (٩١٧٩) / ٥ / ٣٧٥ ، والدارمي رقم (١٨٥٠) / ٢ / ٦٧ ، وابن أبي شيبة رقم (١٤٧٠١) / ٣ / ٣٣٣ ، وابن خزيمة رقم (٢٨٠٩) / ٤ / ٢٥١ ، وعبد بن حميد رقم (١١٣٥) / ١ / ٣٤١ ، وابن الجارود في المنتقى رقم (٤٦٩) ص١٢٣ - ١٢٥ ، وابن حبان في صحيحه رقم (٣٩٤٤) / ٩ / ٢٥٣ - ٢٥٧ ، ورقم (١٤٥٧) / ٤ / ٣١٠ - ٣١١ ، وأبو نعيم في المسند المستخرج على صحيح مسلم رقم (٢٨٢٧) / ٣ / ٣١٦ ، وأبو عوانة رقم (٣٤٦٢) / ٢ / ٣٦٨ ، والبيهقي في السنن الكبرى رقم (٨٦٠٨) / ٥ / ٦ - ٨ ، رقم (١٤٥٥١) / ٧ / ٣٠٤ ، ورقم (١٣٦٠١) / ٧ / ١٤٤ ، ورقم (١٤٥٠١) / ٧ / ٢٩٥ ، وفي شعب الإيمان رقم (٥٢٦٢) // ٤ / ٣٢٢ .

(3) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة **t** في كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء رقم (١٤٦٩) / ٢ / ١٠٩١ ، وأحمد في المسند رقم (٨٣٤٥) / ٢ / ٣٢٩ ، وأبو نعيم في المسند المستخرج على صحيح مسلم رقم

(د) - رعى حقها كونها أختاً وعمّة وخالة ، وقال النبي e : " إن الله يوصيكم بأمهاتكم ثلاثاً ، إن الله يوصيكم بآبائكم إن الله يوصيكم بالأقرب فالأقرب (١) " وقال R : " قال لا يكون لأحدكم ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فيحسن إليهن إلا دخل الجنة (٢) " .

==

٣٤٤٨ / ٤ / ١٤٢ ، وأبو عوانة رقم (٤٤٩٣) ٣ / ١٤١ ، وأبو يعلى رقم (٦٤١٨ - ٦٤١٩) ١١ / ٣٠٤ - ٣٠٣ ، والبيهقي في السنن الكبرى رقم (١٤٥٠٤) ٧ / ٢٩٥ .

(1) أخرجه ابن ماجة من حديث المقدم بن معد يكرب في كتاب الأدب ، باب بر الوالدين رقم (٣٦٦١) ٢ / ١٢٠٧ ، وأحمد في المسند رقم (١٧٢٢٦) ٤ / ١٣٢ ، والبخاري في الأدب المفرد رقم (٦٠) ص ٣٥ ، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني رقم (٢٤٤١) ٤ / ٣٩٣ ، والطبراني في الكبير رقم (٦٣٧ - ٦٤٠) ٢٠ / ٢٧٠ ، وفي مسند الشاميين رقم (١٧٧) ١ / ١١٦ ، ورقم (٤٣١) ١ / ٢٤٣ ، ورقم (١١٢٨) ٢ / ١٧٠ ، والبيهقي في السنن الكبرى رقم (٧٥٥٥) ٤ / ١٧٩ ، وفي شعب الإيمان رقم (٧٨٤٥) ٦ / ١٨٢ ، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٥ / ٤٦٧ ، ٥٢ / ٢٤٦ ، وابن حجر في المطالب العلية رقم (١٦٧٥) ٨ / ٣٦٠ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٤ / ص ٣٠٢ وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات إلا أن يحيى بن جابر لم يسمع من المقدم ، وصححه البوصيري في مصباح الزجاجة رقم (١٢٨٠) ٤ / ٩٨ ، وذكره ابن حجر في تلخيص الحبير ٤ / ١٠ وقال : إسناده حسن ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة رقم (٣٦٦١) ٢ / ١٢٠٧ ، وفي صحيح الجامع رقم (١٩٢٤) ١ / ٣٩٠ ، وفي السلسلة الصحيحة رقم (١٦٦٦) ٤ / ٢٢٩ ، وفي صحيح الأدب المفرد رقم (٦٠) ص ٣٥ ، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير من حديث أبي أمامة رقم (٧٦٤٧) ٨ / ١٤٧ ، وفي الأوائل رقم (٦٨) ص ٩٧ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨ / ١٣٩ وقال : فيه محمد بن إسماعيل بن عياش وهو ضعيف .

(2) أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري E في كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في النفقة على البنات والأخوات رقم (١٩١٢) ٤ / ٣١٨ ، ورقم (١٩١٦) ٤ / ٣٢٠ ، وأبو داود في كتاب الأدب ، باب في فضل من عال يتيماً رقم (٥١٤٧ - ٥١٤٨) ٥ / ٢٢٣ ، بلفظ : " من عال ثلاث بنات فأدهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة " والحميدي رقم (٧٣٨) ٢ / ٣٢٣ ، وابن حبان رقم (٤٤٦) ٢ / ١٨٩ - ١٩٠ ، وابن أبي شيبة رقم (٢٥٤٣٨) ٥ / ٢٢١ ، والبخاري في الأدب المفرد رقم (٧٩) ص ٤٢ ، والبيهقي في شعب الإيمان رقم (٨٦٧٧) ٦ / ٤٠٥ ، ورقم (١١٠٢٣) ٧ / ٤٦٨ ، والهيثمي في موارد الظمان رقم (٢٠٤٤) ١ / ٥٠٠ ، وضعفه الألباني

وقال e : " الرحم شجنة من الله من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعته الله (١) "

==

في ضعيف سنن الترمذي رقم (١٩١٢) ٤ / ٣١٨ ، وفي ضعيف سنن أبي داود رقم (٥١٤٧ - ٥١٤٨) ٤ / ٣٣٨ ، وفي ضعيف الجامع رقم (٥٦٩٢) ص ٨٢٠ ، ورقم (٦٣٦٩) ص ٩١٩ ، وصححه في صحيح الترغيب رقم (١٩٧٣) ، وفي صحيح الأدب المفرد رقم (٧٩) ص ٤٢

(1) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ، وعائشة في كتاب الأدب ، باب من وصل وصله الله رقم (٥٦٤٢ - ٥٦٤٣) ٥ / ٢٢٣٢ ، وأحمد من حديث أبي هريرة رقم (٧٩١٨) ٢ / ٢٩٥ ، ورقم (٨٩٦٣) ٢ / ٣٨٣ ، رقم (٩٨٧١) ٢ / ٤٥٥ ، ومن حديث ابن عباس رقم (٢٩٥٦) ١ / ٣٢١ ، ومن حديث سعيد بن زيد رقم (١٦٥١) ١ / ١٩٠ ، والترمذي من حديث عبد الله بن عمرو في كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في رحمة المسلمين رقم (١٩٢٤) ٤ / ٣٢٣ ، والحميدي رقم (٥٩٢) ٢ / ٢٧٠ ، والطبراني في الكبير من حديث سعيد بن زيد رقم (٣٥٧) ١ / ١٥٤ ، ومن حديث أم سلمة رقم (٩٧٠) ٢٣ / ٤٠٤ ، وفي الأوسط من حديث عائشة رقم (٣١٥٢) ٣ / ٢٨٢ ، ومن حديث أبي هريرة رقم (٣٣٢١) ٣ / ٣٣٤ ، ورقم (٩٣١٧) ٩ / ١٢٦ ، ومن حديث عبد الله بن عمرو رقم (٦٦٢٣) ٦ / ٣٦٣ ، وأبو يعلى من حديث عائشة رقم (٤٥٩٩) ٨ / ٧٣ ، ومن حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه رقم (٧١٩٨) ١٣ / ١٥٦ ، وابن أبي شيبه من حديث أبي هريرة رقم (٢٥٣٩٤) ٥ / ٢١٧ - ٢١٨ ، وابن وهب في الجامع في الحديث من حديث عبد الله بن عمرو / ٢٢١ ، والشاشي في مسنده من حديث سعيد بن زيد رقم (٢٠٥) ١ / ٢٤٤ ، والبخاري من حديث سعيد بن زيد رقم (١٢٦٥) ٤ / ٩٣ ، ومن حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه رقم (٣٨١٨) ٩ / ٢٧٢ ، والطيالسي من حديث عبد الله بن عمرو رقم (٢٢٥٠) ص ٢٩٨ ، وابن حبان من حديث أبي هريرة رقم (٤٤٢) ٢ / ١٨٥ ، رقم (٤٤٤) ٢ / ١٨٨ ، والبيهقي في السنن الكبرى من حديث عائشة رقم (١٢٩٩٣) ٧ / ٢٦ ، والهيثمي في موارد الظمان من حديث أبي هريرة رقم (٢٠٣٥) ١ / ٤٩٩ ، والحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس رقم (٣١٧٩) ٢ / ٣٣٠ ، ومن حديث سعيد بن زيد رقم (٧٢٦٦) ٤ / ١٧٣ ، ومن حديث أبي هريرة رقم (٧٢٨٧) ٤ / ١٧٩ ، ومن حديث عائشة رقم (٧٢٧٣) ٤ / ١٧٥ ، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة من حديث سعيد بن زيد رقم (١١٠٥) ٣ / ٣٠٤ .

(هـ) وفي حال كونها أجنبية الإسلام حث على عونها ومساعدتها ورعايتها ففي الصحيحين " والساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو كالقائم الذي لا يفتر أو كالصائم الذي لا يفطر (١) " .

(و) - أعطى الإسلام النساء صبغة المسؤولية الاجتماعية كالرجل فقد أخذ النبي ﷺ البيعة من النساء أنفسهن ، إغزازاً لمكانتهن في الإسلام وذلك مؤشراً لا يخطئ دال على مسؤوليتهن المباشرة في أنفسهن مسؤولية مستقلة عن مسؤولية الرجل في مزاوله أمورهن (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا

(1) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة في كتاب النفقات ، باب فضل النفقة على الأهل رقم (٥٠٣٨) / ٥ / ٢٠٤٧ ، وفي كتاب الأدب ، باب الساعي على المسكين رقم (٥٦٦١) / ٥ / ٢٢٣٧ ، و مسلم في كتاب الزهد والرقائق ، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم رقم (٢٩٨٢) / ٤ / ٢٢٨٦ ، والنسائي السنن الصغرى في كتاب الزكاة ، باب فضل الساعي على الأرملة رقم (٢٥٧٧) / ٥ / ٨٦ ، وفي السنن الكبرى رقم (٢٣٥٨) / ٢ / ٤٦ ، وأحمد رقم (٨٧١٧) / ٢ / ٣٦١ وابن ماجه في كتاب التجارة ، باب الحث على المكاسب رقم (٢١٤٠) / ٢ / ٧٢٤ ، وابن حبان رقم (٤٢٤٥) / ١٠ / ٥٥ وعبد الرزاق رقم (٢٠٥٩٢) / ١١ / ٢٩٩ ، وإسحاق بن راهويه في مسنده رقم (٣٧٤) / ١ / ٣٦٥ ، والطبراني في الأوسط رقم (٣٠٦) / ١ / ١٠٠ ، ورقم (١٢١٥) / ٢ / ٥٠ ، وابن عبد البر في التمهيد ١٦ / ٢٤٦ ،
والهيثمي في موارد الظمان رقم (٢٠٤٧) / ١ / ٥٠١ ، وأخرجه البخاري أيضاً من حديث صفوان بن سليم في كتاب الأدب ، باب الساعي على الأرملة رقم (٥٦٦٠) / ٥ / ٢٢٣٧ ، والترمذي من حديث صفوان بن سليم في كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في السعي على الأرملة واليتيم رقم (١٩٦٩) / ٤ / ٣٤٦ ، والبيهقي في السنن الكبرى رقم (١٢٤٤٤) / ٦ / ٢٨٣ .

يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ مَبْرُورٍ فَابْتَغِي لِهِنَّ مِنَ اللَّهِ الْغُفُورَ رَحِيمٌ (١) ، وهذه

الآية نزلت يوم فتح مكة فبايعهن النبي e على الصفا (٢) .
 (ز) - الإسلام من خلال تشريعاته الرائعة الخاصة بالمرأة رفع مكانة المرأة اجتماعياً
 وأعلى قدرها حينما أعطاهما حق اختيار الزوج قال e : " لا تنكح الأيم حتى تستأمر ،
 ولا البكر حتى تستأذن في نفسها وإذنها صماتها (٣) " .
 وفي حديث ابن عباس " الأيم أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن في نفسها وإذنها
 صماتها (٤) " وفي ذلك بيان قاطع على أن الإسلام رفع مكانة المرأة اجتماعياً حينما

أعلن للجميع أنها أهل للثقة في إدارة شئون أمرها وأنها لا تخضع لأهواء الآخرين
 ورغباتهم ، وقد بين النبي e ذلك تطبيقياً عملياً فقد جاء في قصة الخنساء بنت خدام
 الأنصارية رضي الله عنها أن أباهما زوجها وهي كارهة وكانت ثيباً فأتت رسول
 الله r فرد نكاحها (٥) "

(ح) - مقررات في الإسلام المرأة وهي أهل للاستشارة والاستنصاح حتى للرجال فهذا
 رسول الله e يدخل على زوجته أم سلمة بعد أن عقد صلح الحديبية وأمر المسلمين أن
 يتحللوا من إحرامهم فلم يمثلوا ظناً منهم أن في ذلك الصلح غبناً عليهم فقالت : ما
 خطبك يا رسول الله قال : هلك المسلمون يا أم سلمة أمرتهم أن ينحروا ويحللوا
 ويتحللوا فلم يمثلوا ، قالت : اعذرهم يا رسول الله فقد حملت نفوسهم أمراً عظيماً في
 الصلح ورجعوا دون فتح ولا حج فهم لذلك مكروبون والرأي أن تخرج ولا تلوي
 على أحد فتنحروا وتحلقوا فإذا رأوك فعلت تبعوك فانشرح صدر رسول الله e واطمأن
 قلبه إلى ذلك الرأي السديد وقام وخرج إلى الناس فقال " أما ما أهمكم من العهد فإن
 من ذهب إليهم فلا حاجة لنا به ومن جاءنا فسيجعل الله له فرجاً وأما البيت فإنكم إن
 شاء الله مطوفون به في قابل وما فعلت ما فعلت من أمري وإنما عن أمر الله وهو ناصري

ولن يضيعني ثم دعا الحلاق فحلق وعمد إلى البدن فنحر وتحلل من الاعتمار وصدق رأي أم سلمة فلم يكن المسلمون يرون النبي ﷺ يخلق ويذبح حتى توثبوا إلى الهدي فنحروا وإلى الرؤوس فحلقوا ثم رجعوا إلى المدينة مؤمنين بحكمة ربهم (٦) .

ولعلنا لا ننسى التغير الحاصل لمكانة المرأة حينما جاء الإسلام وأول صديقة في الإسلام وهي خديجة رضي الله عنها تقابل أول صديق في الإسلام فحينما يعد الأوائل في الإيمان تذكر خديجة من طليعتهم آزرت نبي الإسلام ﷺ في أخرج الأوقات وأعانتة على إبلاغ الرسالة ، شاركته مغارم الجهاد المر وواسته نفسها ومالها وحتت عليه ساعة قلقه وكانت نسمة سلام وبر عليه ﷺ ، تحملت كيد الخصوم وآلام الحصار ومتاعب الدعوة فكان جزاؤها في الإسلام " بشارة النبي ﷺ لها بيت في الجنة من قصب لا خصب فيه ولا نصب (٧) " .

ولئن أردنا أن نسهب في هذا المقام فسيطول بنا الحديث وتاريخ المسلمين شاهد على ما ذكرناه منذ عهد النبوة إلى عصرنا الحاضر المرأة تستشار ويسمح لها فيما هو صواب فهذا عمر يستشير حفصة في بعض أمور النساء في أمر مهم يتعلق بالرجال المتغربين في ميدان الجهاد ثم يستجيب فيسرع في إرساله كتابه إلى قادة الجيوش بالألا يغيب المجاهد عن بيته أطول من هذه المدة التي ذكرتها حفصة (٨) .

وهذه خولة بنت ثعلبة تقول لعمر وهو أمير المؤمنين (قد كنت تدعى عميراً ثم قيل عمر ثم قيل أمير المؤمنين فاتق الله يا عمر فإنه من أيقن بالموت خاف الفوت ومن أيقن بالحساب خاف العذاب) فقيل له : أتقف لهذه العجوز هذا الوقوف ؟ قال : والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره لازلت إلا الصلاة المكتوبة أتدرون من هذه ، هذه خولة سمع الله قولها من فوق سبع سموات أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمع لها عمر (٩) .

(ط) من علو مكانة المرأة في الإسلام اجتماعياً أنها أعطيت كما أعطي الرجال فيما يخص نظام الجوار الذي كان معروفاً قبل الإسلام حيث يدخل الرجل في جوار إحدى القبائل القوية أو الأشخاص الأقوياء ويعلن ذلك للملأ لتتوفر له حمايتهم حتى ولو بالسلاح . ففي فتح مكة يقول النبي e لأم هانئ بنت أبي طالب : " أجرنا من أجرت يا أم هانئ (١٠) " .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : " إن كانت المرأة لتجبر على المؤمنين فيجور (١١) " بمعنى لا يخفره أحد ولا ينقضه .

(ك) - المرأة وحقها في الخروج من البيت :

الأصل ترغيب الإسلام في قرار المرأة ببيتها مكرمة مصونة ، وألا تطلق لنفسها العنان في الخروج لكل شاردة وواردة (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ..) (١٢) ولكن هذه الجوهرة المصونة والدرة المكنونة لا يجوز لزوجها أن يمنعها من الخروج من بيتها في حالات منها ، قوله e : " لا تمنعوا إماء الله مساجد الله (١٣) " وقوله r : " إذا استأذنكم نساءكم إلى المسجد فأذنوا لهن (١٤) " .

وفي رواية " وبيوتهن خير لهن (١٥) " وهكذا يجوز لها الخروج من البيت للحاجة الشرعية بإذن زوجها أو وليها كالخروج للعلاج أو صلة الرحم أو زيارة المريض أو طلب العلم ونحو ذلك ، لكن هذا الخروج أحيط بسياسات تحفظ كرامتها وتصون عرضها وهي مراعاة الضوابط الشرعية من الالتزام بالحجاب الشرعي وعدم الاختلاط بالرجال ووجود المحرم حال السفر وعدم الخلوة بالأجنبي وأمن الفتنة حتى تحفظ هذا الكيان الغالي في المجتمع .

ل - المرأة وحقها في الاستمتاع الجبلي :

المرأة فرد في المجتمع تحتاج إلى أسرة وأبناء وملذات هذه الحياة ومحتاجة بحكم فطرتها وجبلتها للقيم والحامي والكافل لذا شرع الزواج في الإسلام قال تعالى : (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ) (١٦) والأيم من لا زوج له رجلاً كان أو امرأة . فالزواج حق مشروع لها ليس لأحد منعها منه ولا عضلها عنه ومع هذا ارتقى الإسلام بالعلاقة الزوجية إلى أعلى المستويات وجعلها علاقة مشتركة لمصالح مهمة في حياة الزوجين والمجتمع . ولما كانت المرأة بحكم تلك الجبلية محتاجة للزواج لإشباع غريزتها لم يجعل الشرع المرأة مجرد سلعة يستمتع بها فقط لهذا الغرض بل بنى أحكام الزواج على عقد مؤبد يحقق أهدافا عظيمة ومقاصد مثلى من الاستقرار النفسي وإنجاب النسل وبناء مجتمع مثالي ، وجعل تلك العلاقة على أتم الأسس وأعظم المواثيق ورفع مكانة المرأة أمام الرجل وجعلها وهي تقدم على الزواج من الرجل لها حق ما تشترطه من الشروط التي تعود بالنفع والصالح عليها قال e : " إن أحق الشروط أن توفوا بها ما استحللتم به الفروج (١٧) " .

وقد جاء أن رجلاً تزوج امرأة لها دارها ثم بدا له بعد ذلك أن ينقلها إلى داره فخاصما عند عمر فقال : " لها شرطها مقاطع الحقوق عند الشروط (١٨) " .

ومن أوجه تقدير الإسلام للمرأة وهي تقدم على الزواج أن جعل الارتباط الزوجي مرتبطاً بمؤشر على تقديرها واحترامها وأنها بعيدة المنال عزيزة المقدار ففرض لها مهراً هو عبارة عن إعطاء المرأة قيمة مالية رمزاً للتقدير والحفاوة قال تعالى : (وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا) (١٩) فهو آية من آيات المحبة وصلة توثيق عرى المودة والرحمة لأن المال نفيس فلا يصرف إلا لنفيس .

وأيضاً الشريعة وهي تشرع الزواج فهي تنظر إليه على أنه صلة من الصلات التي تقتضيها ضرورة البشر ومع هذا فالمرأة لا تسلب بالنيكاح كيانها وشخصيتها وذاقتها وقيمتها التي تعتر بها فصلة نسبها بأبيها قائمة وعلاقتها بعائلتها وشيخة قال تعالى :
 (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ) (٢٠) ، بينما هذا الحق مضيع في بعض المجتمعات غير الإسلامية لأنها تنظر للزواج على أنه سلب المرأة من كيانها القديم إلى كيان جديد متعلق بالزوج في كل أوجه حياتها .
 (م) - صيانة الإسلام لعرض المرأة في المجتمع .

لقد جعل الإسلام عرض المرأة في مكان عال أن ينال أو يداس ، حرم انتهاكه أو خدشه أو التعرض له ، ففي القرآن آيات كثيرة تحذر من رمي المؤمنات المحصنات قال تعالى : (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءِ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (٢١) ، وقال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (٢٢) ، قال e " اجتنبوا السبع الموبقات وذكر منها وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات (٢٣) " .

ولهذا أوجب على المسلم أن يرضى حرمة ويحرسهن وأن يصون شرفهن وكرامتهن وأن يدفع عن أعراضهن حتى عد ذلك جهاداً فاعله في درجة الشهيد في الجنة قال النبي r : " من قتل دون أهله فهو شهيد (٢٤) " .

ولهذا فكانت الغيرة المعتدلة من صميم أخلاق الإيمان وشيم أهل الإسلام قال سعد بن عبادة لو رأيت رجلاً مع امرأتى لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله e فقال : " أتعجبون من غيرة سعد لأنا أغير منه والله أغير مني من أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن (٢٥) " .

وقال **٣** : " ثلاث لا ينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة : العاق لوالديه والمرأة المترجلة والديوث (٢٦) " .

فأين هذه الصفات العظيمة التي تجعل للمرأة مكانة عالية وقيمة رفيعة ممن لا يقيم لحرمة قيمة ولا وزناً .

الضابط الخامس : المرأة ومكانتها الاقتصادية في الإسلام :

لقد أعطيت المرأة في الإسلام الحرية الاقتصادية التي للرجل سواء بسواء وتفسر هذه الحرية بأنها قدرة الشخص قانوناً على أن يصبح مالكاً وأن تصان هذه الملكية من الاعتداء عليها وهو حق إنساني معترف به في كافة الدساتير وإعلانات الحقوق عدا النظام الشيوعي . ويذكر غالبية العلماء والمؤرخين أن المرأة كانت في جزيرة العرب قبل الإسلام لا تملك حرية التصرف في مالها أو ممتلكاتها بل إنها هي نفسها كانت سلعة تورث وتباع وتشتري وتنتقل ملكيتها من رجل إلى رجل ليس لها حق الميراث ولا في المهر الذي يدفعه زوجها إلا إنه مع بزوغ فجر الإسلام وسطوع شمسه بدأ وضع المرأة ومكانتها يتغيران من الأسوأ إلى الأحسن ومن ذلك الوضع الاقتصادي للمرأة فقد نظر إليها الإسلام أنها كالرجل تتمتع بأهلية كاملة وحق تام غير مقيد بأي قيد عدا ما حرم الله ورسوله ونسوق فيما يلي أوجه نظرة الإسلام في هذا المجال :

(١) - أنها أهل للتكسب وطلب المال بأسباب التملك المشروعة ولها أن تمارس التجارة وسائر تصرفات الكسب المباح يقول تعالى : (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْتُمْ بِالتَّجَارَةِ وَسَائِرِ تَصَرُّفَاتِ الْكَسْبِ الْمُبَاحِ يَقُولُ تَعَالَى : (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْتُمْ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْتُمْ) (٢٧) ، والاكتساب يترتب عليه التملك ولهذا يخاطب الله المرأة والرجل قوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ) (٢٨) ، ولقوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ (٢٩) ، وقال النبي ﷺ : للنساء " تصدقن ولو من حليكن (٣٠) "

(٢) - قرر الإسلام المساواة الكاملة بينها وبين الرجل فلها أن تتصرف في أموالها وممتلكاتها بكل حرية ولا وصاية لأحد عليها مهما كان يقول تعالى : (وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا) (٣١) ، ويقول عز شأنه

: (مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ) (٣٢) ، فهي لها شخصيتها المالية توصي وتتدين كالرجل ، يقول الشيخ رشيد رضا رحمه الله : (لقد أبطل الإسلام كل ما كان عليه العرب والعجم من حرمان النساء من التملك أو التصييق عليهن في التصرف بما يمكن وأبطل استبداد أزواج المتزوجات منهن بأموالهن فأثبت لهن حق الملك بأنواعه والتصرف أشكاله المشروعة ، بل جعل لهن حق المهر والنفقة ولو كانت غنية (٣٣) . وكل ذلك داخل في محيط القاعدة القرآنية (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) (٣٤) ، قاعدة كلية ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل في جميع الحقوق إلا

تلك الدرجة التي هي حق القوامة (الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ) (٣٥) .

يقول الشيخ محمد عبده رحمه الله - في سياق كلامه عن المرأة : (هذه الدرجة التي رفع الله النساء إليها لم يرفعهن إليها دين سابق ولا شريعة من الشرائع . بل لم تصل إليها أمة من الأمم قبل الإسلام ولا بعده وهذه الأمم الأوربية التي كان من تقدمها في الحضارة أن بالغت في احترام النساء وتكريمهن وعنيت بتربيتهن وتعليمهن الفنون والعلوم لا تزال دون هذه الدرجة التي رفع الإسلام النساء إليها ولا تزال قوانين بعضها تمنع المرأة من حق التصرف في مالها بدون إذن زوجها وغير ذلك من الحقوق

التي منحتها إياها الشريعة الإسلامية من نحو ثلاثة عشر قرناً ونصف قرن ، وقد كان النساء في أوروبا منذ خمسين سنة بمتزلة الأرقاء في كل شيء كما كن في عهد الجاهلية عند العرب بل أسوأ حالاً) .

(٣) - أنها صارت وارثة عد أن كانت موروثه : فقد أثبت الإسلام تقديره للمرأة ورعايتها لحقوقها وإعطائها حق الميراث خلافاً لما كان عليه العرب في الجاهلية وكثير من الشعوب القديمة ، يقول سبحانه : (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ) (٣٦) ، وبينما نجد هذا الحق جاء مقرراً ثابتاً في الإسلام للمرأة فإن المرأة الأوروبية ظلت أكثر من اثني عشر قرناً بعد الإسلام لا تملك من الحقوق ما أعطاه الإسلام للمرأة المسلمة .

(٤) - أن الشريعة قررت حقها في المهر لسبب عقد النكاح بعد أن كانت في الجاهلية ممنوعة منه بل يأخذه وليها ' فهو في الإسلام حقها وحدها ليس لأحد فيه شيئاً إلا بأذنها قال سبحانه : (وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا) (٣٧) ، فهذه الآية تتضمن معان : منها أن المهر لها وهي المستحقة له ولا حق للولي فيه ، ومنها أن على الزوج أن يعطيها بطيب من نفسه ، ومنها جواز هبتها المهر للزوج ، والإباحة للزوج في أخذه ، وهذه الآية عامة في الأبكار والشيبات ويؤكد الله ذلك بقوله : (وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِن خِفْتُمَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ) (٣٨) . وقوله سبحانه : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ) (٣٩) . ومن أوجه عناية الشريعة بالمرأة اقتصادياً أنه كفل لها النفقة والدة أو بنتاً أو أختاً أو زوجةً لأن المرأة من طبيعتها القرار في البيت وتدبير المنزل وحضانة الأطفال وتربية الأولاد ، قال تعالى : (وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ

وَكَسَوْتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ. (٤٠) ، وقال سبحانه (لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فليُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) (٤١) .

بل وجعل لها الحق في حال امتناع من وجبت عليه النفقة في أن تأخذ من ماله ما يكفيها بالمعروف فقد قالت هند يارسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح ولا يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم فقال " خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف (٤٢) ". وتقرير النفقة للمسلمة مظهر من مظاهر تكريمها وإعزازها وهو مثابة الأمن الاقتصادي لها كفالة ورعاية وسد حاجة حتى تتفرغ لرسالتها من إدارة منزل وقيام بحق زوج وتربية أولاد فتؤدي تلك الرسالة الأسمى في الحياة وهي فارغة البال من هموم العيش ونصب الكسب والكدح .

الضابط السادس : المرأة في الإسلام وحقها في العمل :

الإسلام حث على العمل ورغب فيه وجعل له منزلة عظيمة ومكانة كبرى وفي القرآن ما يقرب من ثلاثمائة وستين آية تتحدث عن العمل وتحث عليه بقوله تعالى : (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (٤٣) ، ويقول سبحانه : (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ) (٤٤) ، وفي السنة الوصايا الكثيرة التي تتجه إلى الحض على العمل وتبين منزلته وفضل العامل الذي يكد في طلب رزقه وعماراة الأرض قال " ما أكل أحد طعاماً خيراً له من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده (٤٥) " .

ومن الأصول التي حث عليها الإسلام الاستفادة من كل ما سخره الله للناس في الأرض ، والترغيب في إحسان العمل وإتقانه بكل الوجوه التي تحقق لبني الإنسان قال

تعالى : (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (٤٦) ، والنبي ﷺ يقول : " إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه (٤٧) " .

والمرأة عنصر من عناصر المجتمع التي تتوجه إليها تلك النداءات والتوجيهات فالإسلام لا يأبى عملها في محيط ما تزكوا به النفوس وتقوم به الأخلاق وتحفظ به المرأة كرامتها وحياءها وعفتها ويصان به الدين والبدن والعرض والقلب والعقل ، العمل الذي يصل الأمة إلى غايتها من السيادة والمجد ، وذلك من خلال ما يناسب فطرتها ورسالتها وطبيعتها ومواهبها وميولها وقدراتها . ولكن الإسلام مع ذلك ينظر إلى غاية العمل ومقاصده ، فيرى أن قيام المرأة على شؤون بيتها وتدبير أمور منزلها وتربية أبنائها ورعايتهم من أهم الأعمال وأجلها وأنفعها للأمة جمعاء لأنه يبني به كيانه وهو حفظ مجتمع الأسرة عامراً بكل خير وصلاح ، والمرأة في العمل وفق تلك الأطر ثابت بأدلة منها :

(أ) - قصة بنتي شعيب مع موسى عليه السلام المذكورة في سورة القصص (٤٨) .

(ب) - أن النبي ﷺ أذن للنساء في مرافقته في بعض غزواته منهن أم سلمة في غزوة

خيبر وفتح مكة (٤٩) ، وعائشة وأم سلمة في غزوة بني المصطلق ، وكانت فاطمة

معه في غزوة أحد تغسل عنه الدم لما شج وجهه وعلي يسكب عليه الماء (٥٠) ، وعن

أم عطية رضي الله عنها أنها قالت : غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أحلفهم في

رحالهم فأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى وأقوم على المرضى (٥١) ،

وكذلك رُفيدة رضي الله عنها كانت لها خيمة متطوعة بمداواة الجرحى في غزوة

الأحزاب تحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ، وكان رسول الله r قد قال لقومه : حين أصيب سعد بن معاذ في الخندق اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب (٥٢) . وثبت في الصحيح أن زينب بنت جحش رضي الله عنها كانت تعمل بيدها وتتصدق (٥٣) ، وكانت تدبغ الجلود وتخز وتتصدق به في سبيل الله (٥٤) . فالإسلام لا يمنع المرأة من العمل من حيث هو ولكنه يمنعها من العمل المنافي للدين أو الخلق القويم فيشترط في عملها أن تكون محتشمة وقورة بعيدة عن مظان الفتنة غير مختلطة بالرجال ولا متعرضة لسفور أو تبرج .

الضابط السابع : المكانة العملية للمرأة في الإسلام .

دين الإسلام مرتبط بالعلم وطلبه وتعلمه وتعليمه ويكفي أن تكون أول كلمة في دستوره الذي يحكم حياة المسلمين ويشرع لهم هي (اقرأ) .

والعلم من حيث الأصل فريضة على كل مسلم كما قاله e (٥٥) ، والآيات والأحاديث التي تدعوا إلى التعلم والتفكير والنظر وطلب البرهان وابتغاء الحكمة أكثر من أن تحصر منها قوله تعالى : (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (٥٦) . وقوله سبحانه : (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) (٥٧) . ويقول e : " من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين (٥٨) " وقال r " من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة (٥٩) " .

وهذه نصوص عامة في توجيهاتها شاملة في ترغيبها ، واسعة المفهوم في خطابها للذكر والأنثى على وجه سواء ، في كل علم ينفع ديناً ودنياً آخره وأولى وقد ورد التخصيص للنساء كما في قوله تعالى : (وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا) (٦٠) ، والنبي e ضرب أروع الأمثلة في

توجيه نساء المؤمنين للعلم والتعلم فقد وجه من يعلم حفصة القراءة والكتابة وبتربيته نالت عائشة قبساً عظيماً من العلم الذي أفاء الله به على نبيه e لذا رزقت ذكاء متوقداً وبديهة واعية وسرعة فهم وقدرة على التحصيل وإحاطة بكل ما يقع في متناول ذهنها ، قال الأعمش : عن مسلم عن مسروق أنه قيل له هل كانت عائشة تحسن الفرائض فقال : " أي والذي نفسي بيده لقد رأيت مشيخة أصحاب محمد r الأكابر يسألونها عن الفرائض (٦١) " ،

وقال عروة : " ما رأيت أحداً أعلم بفقهِ ولا طب ولا بشعر من عائشة (٦٢) "

وقال عطاء بن أبي رباح : كانت أفقه الناس وأحسن الناس رأياً في العامة (٦٣)

ولقد وصفت عائشة بعلمها الذي بلغ ذورة الإحاطة البشرية والنضج الكامل بكل ما اتصل بالدين من قرآن وتفسير وحديث وفقه حتى ذهب الحاكم في مستدركه إلى أن ربع أحكام الشريعة نقلت عنها (٦٤) ، لذا قال أبو موسى الأشعري : " ما أشكل علينا أصحاب رسول الله e حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً (٦٥) " لذا كانت في تاريخ الفكر الإسلامي معلمة العلماء ومؤدبة الأدياء . فعن عروة بن الزبير أنه قال لعائشة : " يا أمتاه لا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس ولكن أعجب من علمك بالطب كيف هو ومن أين هو فضربت على منكبه وقالت : أي عرية إن رسول الله e كان يسقم في آخر عمره فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل جهة فتنعت له الأنعام وكنت أعالجها له فمن ثم (٦٦) " . ولئن ذهبنا نذكر نماذج من تأثير الإسلام في تعلم النساء فس نجد النموذج بين طوائف شتى من نساء المسلمين لا يحصى عددهن تفقهن وأقبلن على مجالس العلم يقول ابن عساكر: أن عدد شيوخه من النساء ثمانين امرأة (٦٧) ، وذكر البلاذري في فتوح البلاد أن نساء

مسلمات تعلمن القراءة والكتابة يبلغ عدد المعروف منهن نصف عدد المعروف من الرجال الكتاب بل ذكر المؤرخون أن عدد المحاضرات في العصر الأموي بلغ ثمانين امرأة درس بعضهن في التدريس والطب وغيره .

الضابط الثامن : المرأة في الإسلام وحقها في المعاشرة بالمعروف :

يقول الله جل وعلا : (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ..) (٦٨) ، كلمة المعاشرة مشتقة من المعاشرة والمخالطة ، والمعروف كلمة جامعة شاملة لكل خير ، وقال النبي ﷺ : " إن المرأة خلقت من ضلع لن يستقيم لك على طريقة فإن استمتعت بها استمتعت وبها عوج وإن ذهبت تقيمها كسرهما وكسرهما طلاقها (٦٩) " أي طبع المرأة فيه عوج

كالضلع في عوجه وتقوسه فيجب على الرجل ألا يحاول تقويم هذا العوج بالقوة ، وأن يستوصي بها خيراً ، وإن يداريها حتى يفوز بمعاشرتها ولا يؤاخذها بكل صغيرة تبدر منها قال e : " أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائكم (٧٠) " ويقول e : " ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنهم عوان عندكم (٧١) "

والإسلام ينظر للزوجة على أنها ركيزة من ركائز إسعاد المجتمع ، وأنها منبع من منابع الهدوء والاستقرار والأمن والأمان وراحة البال قال سبحانه : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (٧٢) إنها المودة والرحمة التي تقتصر على مجرد علاقة جنسية بل تعني البعد العاطفي الشفاف ولهذا جعل القاعدة الكلية المقتضية بأن المرأة للرجل في جميع الحقوق إلا أمراً واحداً : (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) (٧٣) . وهذا الأمر هو قوله تعالى : (وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) (٧٤) ، فهذه القاعدة تعطي

الرجل ميزاناً يزن به معاملته لزوجته في جميع الشؤون والأحوال ، قال ابن عباس : " أني لأتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي لقوله تعالى : (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) (٧٥) " ، فالمراد أن الحقوق بينهما متبادلة وأنها كفؤان فما من عمل تعلمه المرأة للرجل إلا وعلى الرجل عمل يقابلها لها إن لم يكن مثله في شخصه فهو مثله في جنسه فهما متماثلان في الحقوق والواجبات كما أنهما متماثلان في الذات والإحساس والشعور والعقل وأما الدرجة المذكورة في الآية فهي درجة الرئاسة والقيادة والقيام على المصالح وتيسير أمور الأسرة المفسرة بقوله : (الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) (٧٦) ، فالرجال أحق بالرئاسة لأنه أعلم بالمصلحة وأقدر على تنفيذها بقوته وماله ، ومن ثم كان هو المطالب شرعاً بحماية المرأة والنفقة عليها وعلى الأسرة وكانت هي مطالبة طاعته في المعروف ، فهو أعطى هذه القوامة بسبب توفر الخبرة له ومقومات الإرادة من قوة الشخصية واتخاذ القرارات الحاسمة وتغليب العقل على العاطفة والمعرفة بشؤون الحياة ، وإذا وجد بعض النساء كذلك فهو نادر والعبارة للغالب .

وهذه القوامة ليست مطلقة أو تعسفية ، بل مقيدة بحسن المعاشرة والرعاية والمودة والوفاء والأمانة والانسجام والتشاور في البيت . ولهذا فالبساطة والتواضع مع شريكة العمر ورفيقة الدرب التي عقدت على الزوج آملها منهج من مناهج الإسلام فنبني الإسلام كان يقوم على خدمة أهله بنفسه فكان يخسف البعل ويخسف الثوب ويكنس الدار . ومن تمام المعاشرة في الإسلام أن تحسن المرأة أنما غالية لدى زوجها عالية المقدار يغار عليها غير معتدلة فلا يبالغ في إساءة الظن ولا يسرف في تقصي كل حركاتها وسكناتها ولا ينظر لكل عيوبها ، معتدل الغيرة لا يتغافل عن الأمور التي يخشى مغبتها ويصعب علاجها إذا أهملت ، ولا يسكت عن تقصي في واجب أو ميل إلى سوء ، أو تلبس بمنكر فلا بد من الرقابة التي تقطع العلة قبل وقوعها وتوقف الداء

قبل سريانه قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) (٧٧). فعلى الزوج أن يهتم بسلامة دينها وخلقها وصحة اتجاهها قال تعالى : (وَأْمُرْ

أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) (٧٨) ، ويقول e : " يقول كلكم راع وكلكم

مسؤول عن رعيته ، الإمام راع ومسؤول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته ، والخدام راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته (٧٩) "

هذه قواعد عامة وضوابط مهمة في بيان أصل عظيم في الإسلام وهو حفظ كرامة المرأة وإعلاء قدرها وشأنها وفي فروع وجزئيات توجيهات أحكام الشريعة الإسلامية الكثير والكثير مما يبين عظيم مكانة المرأة في الإسلام ورفعة شأنها وكبير منزلتها .

فهرس الكتاب

المقدمة =====	ص ٢
تمهيد =====	ص ٢
الإسلام ينظر إلى الخليقة البشرية على أنها وحدة إنسانية متكاملة في التكوين الجسدي والطباع والمشاعر والإحساسات والتطلعات والآلام والآمال والحاجات والضرورات فهو لا ينظر إلى نزعة عنصرية ولا فوارق لونية ولا سلالات بشرية أو فوارق جنسية أو نزعات عرقية وطائفية ===== ص ٣	
العلاقة بين الرجل والمرأة في الإسلام ===	ص ٤
الأخوة البشرية في الإسلام =====	ص ٦
الضابط الأول : وحدة التكليف مساواة المرأة الرجل	
في التكليف الشرعية =====	ص ٧
شهادة المرأة =====	ص ١٠
ميراث المرأة =====	ص ١١
دية المرأة =====	ص ١١
الضابط الثاني : المساواة في الأهلية الاجتماعية والمالية == ص ١٢	
للمرأة في الإسلام ذمة مستقلة عن ذمة الزوج وبقية الأسرة ص	١٣
الضابط الثالث : عناية الشرع بحقوق المرأة العامة === ص ١٣	
التسخط من الأنثى من شأن الجاهلية =====	ص ١٤
الضابط الرابع : المرأة ومكانتها الاجتماعية في الإسلام ص ١٥	
أعطى الإسلام النساء صبغة المسؤولية الاجتماعية ===	ص ٢٣
علو مكانة المرأة في الإسلام =====	ص ٢٩

- المرأة وحقها في الخروج من البيت ===== ص ٣٠
- حق المرأة في الاستمتاع الجبلي ===== ص ٣٢
- صيانة الإسلام لعرض المرأة في المجتمع ===== ص ٣٣
- الضابط الخامس :** المرأة ومكانتها الاقتصادية في الإسلام == ص ٣٧
- المساواة بين الرجل والمرأة ===== ص ٣٨
- الشريعة قررت حق المرأة في المهر بعقد النكاح ===== ص ٤٠
- الضابط السادس :** المرأة في الإسلام وحقها في العمل = ص ٤٢
- قصة بنتي شعيب عليه السلام ===== ص ٤٤
- الضابط السابع :** المكانة العلمية للمرأة في الإسلام == ص ٤٦
- الضابط الثامن :** المرأة في الإسلام وحقها في المعاشرة بالمعروف ص ٤٦
- قوامة الرجل على المرأة قوامة رعاية ومودة ووفاء وأمانة ===== ص ٥٣